تعتبر الكتابة على الجدار من الوسائل القديمة للإعلانات والأخبار، فمن خلال تلك الكتابات والرسومات تم التعرف على حضارات متعددة باعتبارها مدوّنات تاريخية، وهنا تُعتبر أحد دعائم الحضارة والتمدُّن، إلا أن المفهوم حالياً مختلف تماماً وذلك لوجود ظاهرة الكتابة والرسومات على جدران الشوارع والمدن وليس لنشر أو عرض الملاحم والانتصارات أو الفنون والإبداعات، وإنما بروز ظاهرة الكتابة على جدران الشوارع والحارات والمرافق العامة يعكس عادات سيئة في المجتمع المدني المتحضِّر، وفي مقولة لأحد المستشرقين يقول: إذا أردت أن تعرف ما يحدث في مدينة ما فانظر إلى الكتابات التي على جدرانها، فأصبحت هذه الكتابات عنواناً للمدن والشوارع والحارات وعنواناً لأفكار ساكنيها وانتماءاتهم واتجاهاتهم، وهذه الكتابات والرسومات والشخابيط توجد في كثير من الشوارع مما يخالف الذوق العام والمنظر الحضاري، وتزداد في مواسم معينة مثل فترات الانتخابات أو مواسم لعب كرة القدم وغيرها، العجيب في هذا الشأن أن هذه الظاهرة أصبحت أمراً معتاداً عليه ولا يواجه أي استنكار أو استهجان من المجتمع ومن الجهات المعنية التي لم توجد للحظة أي قانون أو تشريع يحد من هذه الظاهرة التي تُعتبر ذات الأثر على السلوك الحضاري والذوق العام.

تحقيق/ نجلاء الشعوبي

بعضها إساءات .. وأخرى تثير النعرات

الكتابة على الجدران .. سلوك منبوذ

- أمانة العاصمة: ننفق الكثير من الأموال لتنظيف الشوارع وجهودنا تذهب هدراً

وعلى ضوء هذه الظاهرة نبحث عن الأسباب، وقد يكون أولها النشء والشباب الذين يتعمّدون الكتابة على جدران الشوارع بعبارات يحددونها، سواءً كانت لعرض أسمائهم أو التبادل بالشتائم واستخدامها للمراسلات وتوزيع الأرقام وغيرها مما يلاحظه الجميع، ومما قد يسيء للذوق العام ويظهر بالعبث بالممتلكات العامة دون أي اعتبار أو مبالاة لهذا السلوك.

ويرى البعض أن لجوء فئة الشباب والمراهقين للكتابة على الجدران أنه تعبير عن حاجاتهم وأفكارهم وظروفهم النفسية والاجتماعية مستخدمين الجدار كأهم وسائل التنفيس لهم، والتعبير عن الخلافات القائمة بينهم من خلال كتابة الشتائم والتشهير ببعضهم وأحياناً الدخول في الأعراض والمحارم مما يسيء لحُرمات المجتمع وتكشف على وجود خلل في التنشئة والتربية المجتمعية، وقد يحاول الشباب من خلال تلك الكتابات إثبات الذات وتخليد الذكريات أو التغلب على الشعور بالفشل أو الضعف الذي ينتاب أغلب الشباب والمراهقين نتيجة عدم الحصول على قنوات صحيحة للتعبير عن ما يدور في خواطرهم، فيتخذون الجدران وسيلة لذلك، خصوصاً مع غياب الحوار في الأسرة أو المدرسة التي تُعتبر من أهم أسباب هذه الظاهرة.

علم نفس

الدكتور/ طاهر الحزمي – جامعة صنعاء – علم نفس – أعاد أسباب تزايد هذه الظاهرة بين فئة النشء والشباب إلى الفراغ الذي يعانيه الشباب المنقطع عن الدراسة مما يجعلهم يشكّلون جماعات وتكون الجدران أحد وسائل التنفيس لهم سواءً كان سلبياً أو إيجابياً، والجانب الآخر التربية التي تُعتبر هي الركن الأساسي للطفل والنشء بشكل عام والتي تغرس في أعماقه حب الآخرين والسلوك الطيب والحضاري، وكذلك السلوكيات لبعض أولياء الأمور مثل الانحرافات السلوكية وعدم المبالاة والشعور بالمسئولية تجاه أبنائهم مما قد يدفع الأبناء إلى التعابير الغامضة لتلك السلوكيات ونشرها على الجدران كنوع من الرفض لهذه السلوكيات، وكذلك السلوك الناتج عن الشعور بالحقد بين الشباب والنشء نتيجة الخلافات التي تقع بينهم مما يجعل الكتابات هذه كنوع من تفريغ الشحنات على الجدران، وكنوع من التشهير العدائي وتفريغ الشحنات المكبوتة داخل هذه الفئة من المجتمع التي تنعكس آثارها في هذه السلوكيات.

وأضاف أن التشخيص لهذه الظاهرة على أنها ظاهرة اجتماعية بيئية تربوية لها دوافع وأسباب تكثر من منطقة لأخرى ومن شارع لآخر نتيجة إهمال بعض أولياء الأمور في تربية أولادهم وعدم متابعتهم وإرشادهم على أن هذا الأسلوب خطأ وغير سوي. مؤكداً على أن هذه الظاهرة سيئة بكل المقاييس وانعكاساتها تكون أكثر سوءاً وهي صورة غير حضارية من الناحية الاجتماعية، وتترك آثاراً عكسية عند الكبار والصغار، خصوصاً الأطفال الذين يكبرون على أن هذا السلوك حسن وليس له ضوابط وتقع عندهم انطباعات مختلطة، وينمُّون بأفكار متناقضة مع عادات وقيم المجتمع بحيث يعتبر الجدار مباحاً في ظل غياب قانون يمنع ويحد من هذه الظاهرة، ويجب أن تتضافر الجهود بين المدرسة والمنزل والمسجد ورجال الشرطة ووسائل الإعلام في الترشيد والوعظ لنبذ هذه الظاهرة وهذا السلوك، وعلى الجهات المختصة في الأمانة أن تعمل لوحات إرشادية في الطرق والشوارع والمرافق العامة تحث العابث أينما كان للابتعاد عن مثل هذه الأعمال والتقليل من شأن الذين يقومون بهذا السلوك، والأخذ على أيدي من يفعل مثل هذه الأفعال سواءً من جهة الوالدين أو المدرسة أو الجهات المعنية حتى يكون هذا السلوك منبوذاً من قِبل المجتمع، ولا يتمادى العابثون بالمنظر الحضاري والقيم المجتمعية.

سلوك تربوي

الأستاذة/ وفاء شاهر – وكيلة مدرسة وتربوية – تؤكد أن طلاب المدارس أكثر الفئات ممارسة لهذه الظاهرة مما يدل على أن الرقابة الأسرية والمجتمعية شبه منعدمة فلم يوجد أحد يحد أي طفل أو شاب من الكتابة على الجدار، فإن لم تكن هناك رقابة من الأسرة وتوعية من المجتمع بأن مثل هذه الأمور تنافي أخلاقنا وديننا لأنها تزيد العبث بجهود المجتمع لتحسين المنظر الحضاري، والبيت هو المساهم بالدرجة الأولى في حل كثير من مشاكل المجتمع، ويجب أن توجد توعية من وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني على عدم العبث بالممتلكات العامة، فبدون تدخل الأسرة في هذا الشأن لا يستطيع المجتمع أن يعي خطر هذا الأمر.. وأضافت بأن المدرسة لها دور في هذا الأمر من خلال التوجيه والتوعية من جهة المدرّسين للطلاب أن الكتابة على الجدران سلوك غير سوي وغير محترم لسلوك المسلم والمواطن الصالح، في الحصص الدراسية وطابور الصباح وغيرها.

أمانة العاصمة

ومن جانب آخر يقول وكيل أمانة العاصمة لقطاع النظافة والبيئة الدكتور/ عبدالوهاب صبرة إن الكتابات على الجدران تكثر في مواسم معينة سواءً انتخابات أو منافسات أو أزمات وطنية وعربية، والكتابة على الجدران تكون في دورات مياه العامة والمساجد والمدارس وجدران المنازل والجدران التي في الشوارع والحارات، وقد تتضمّن الكتابات ألفاظاً بذيئة تدل على فكر أو خلق أو تصور يحاول كاتبه تجسيده في هذا أو ذاك الجدار، كما أن هذه الظاهرة تعاني منها جميع الدول أيضاً وتحاول مكافحتها والقضاء عليها، من خلال سنّ القوانين والغرامات التي تحسب على العابثين في نشر هذه الفوضى. وأضاف على أنه لم تقتصر على الكتابة بالجدران فقط، بل وصل الأمر إلى الكتابة على الإسفلت بعبارات تثير الفوضى والنعرات، وأكد على أن هناك عبارات وشعارات وكتابات تختلف من جهة لأخرى مثلاً كتابات كإعلانات لترشيد للمطاعم أو للمعاهد وخدمات معينة، وهذا ليس فيه خطورة إلا أنه مسيء للمنظر الحضاري للمدينة، وكتابات صبيانية وشبابية تعمّها الفوضى والعشوائية من كتابات عن أسمائهم وبطولتهم وأرقامهم وقصصهم وتبادل الشتائم من خلال الجدران، ونوع ثالث من الكتابات هي التي تُعتبر الأخطر والأسوأ مثل نشر شعارات معينة تثير الخلاف والتناحر وتنشر الأفكار الهدّامة والتي تظهر نتيجة الأزمات أو أي اتجاه معين. مؤكداً أن الأمانة تصرف الملايين من الريالات لطلاء الجدران وتنظيف الشوارع، إلا أنه كلما يتم التنظيف تعود الكتابات في ظل عدم تفعيل القانون الذي يحد من هذه الظاهرة، ولذلك يجب التعاون من كل الجهات وتوعية المواطنين بالابتعاد عن هذه العادة المسيئة للمجتمع والتي تؤدي إلى ضياع الجهود المبذولة لإبراز العاصمة بمنظر حضاري راقٍ.

تصوير/ عبدالله حويس